﴿سورة المسد﴾

وفيها ست مسائل :

المسألة الأولى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)﴾ ما الفرق بين تبت وتب؟

تبت بمعنى هلكت وخسرت، ومنه قول الله ﷻعن آلهة المشركين: **﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)﴾**[١]،أى هلاكاً وخسراناً، قال الله ﷻ: **﴿وَتَبَّ﴾** أي وقد وقع هذا الهلاك وتحقق، فكأن الأولى **﴿تَبَّتْ﴾** دعاء عليه بالهلاك والثانية **﴿وَتَبَّ﴾** تأكيد لحصول الدعاء عليه وتحققه (ويؤيده قراءة ابن مسعود ﷺ: "وقد تب")[٢] كما يقول الرجل: (أهلكه الله وقد هلك) .

المسألة الثانية: ﴿تَبَّتْ يَدَآ﴾لم خصت اليد بالذكر دون سائر الأعضاء؟

فى استعمال القرآن الكريم لليد قيل هى بمعنى النفس وكثيراً ما يستخدم العرب كلمة اليد للتعبير بها عن نفس الإنسان، ومنه قوله تعالى: **﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾**[٣] أي نفسك، وقيل خصت اليد بالذكر لأن أغلب عمله إنما يكون بيده فنسب العمل إلى اليد من أجل ذلك .

المسألة الثالثة: ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ لم ذكره القرآن بكنيته ولم يذكره باسمه؟

أكثر ما كان يحرص عليه العرب الكنية، حتى كان الواحد منهم يكنى ولده وهو طفل صغير لم يبلغ بعد،والكنية معناها ألا يُذكر اسم الرجل أو المرأة بل يُذكر بدلاً منه كلمة أب أو كلمة أم مضافة إلى اسم، فيقال عن عمر أبو حفص، وعن عائشة أم عبد الله، ونحو ذلك، وقد أعرض القرآن الكريم عن ذكر أبى لهب باسمه الحقيقى وكان اسمه عبد العزى بن عبد المطلب وذكره بكنيته أبى لهب والسبب فى ذلك يعود – كما قال المفسرون – إلى معانٍ أربعة :

---

(١) سورة هود / من الآية ١٠١ .

(٢) البحر المديد، أحمد بن محمد بن عجيبة، ٥٥٠/٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

(٣) سورة الحج / من الآية ١٠ .

الأول: أن اسمه قبيح وفيه دلالة الشرك فاسمه عبد العزى، والعزى كان صنماً يعبده العرب من دون الله قال الله تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتُمْ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى (٢٠)﴾**[١]، فأعرض القرآن عن ذكر اسم فيه عبودية لغير الله تعالى تنزيهاً لكتابه عن أن يُذكر فيه اسم يحمل معنى الشرك ودلالته فى كتاب التوحيد.

الثاني: أنه قد اشتهر بين الناس بكنيته لا باسمه فأغلب الناس اليوم لا يعرف هذا الأثيم إلا بأبى لهب.

الثالث: أن الاسم أشرف من الكنية، فحطه الله عزوجل عن الأشرف إلى الأنقص، إذ لم يكن بد من الإخبار عنه، ولذلك دعا الله تعالى الأنبياء بأسمائهم، ولم يذكرهم بكنيتهم

الرابع: للتوافق والمناسبة بين كنيته **﴿أَبِي لَهَبٍ﴾** ومصيره **﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ (٣)﴾**، قال القرطبى – رحمه الله –: (وكأن الله تعالى أراد أن يحقق نسبتَه، بأن يدخله النار، فيكون أباً لها، تحقيقاً للنسب، وإمضاء للفأل والطيرة التي اختارها لنفسه) [٢]، ولذا كان من السنة أن يُحسن الرجل اختيار اسم ولده وكان النبى ﷺ يعجبه الاسم الحسن ويغير الاسم القبيح، وفى "الأدب المفرد" أن سعيد بن المسيب حدث: (أن جده "حزنا "قدم على النبي ﷺ فقال: ما اسمك؟ قال: اسمي حزن، قال: بل أنت سهل، قال: ما أنا بمغير اسماً سمانيه أبي، قال بن المسيب: فما زالت فينا الحزونة) [٣].

المسألة الرابعة: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢)﴾ ما الفرق بين ماله وكسبه؟

قال العلماء فى الفرق بين المال والكسب وجوهاً، منها :

---

(١) سورة النجم / الآيتان ١٩ – ٢٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٢٣٧/٢٠ .

(٣) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخارى، ص٢٩٣، دار البشائر، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٠٩هـ.

- المال هو أصل ماله، وما كسب هى أرباح هذا المال المكتسبة من التجارة، ويؤيد هذا (قراءة الأعمش "وما اكتسب" ورواه عن ابن مسعود) [١] .
- المال هو الماشية وما كسب من نسلها ونتاجها فإنه كان صاحب النعم والنتاج، قال أبو العالية: (إنه أراد أغنامه لأنه كان صاحب سائمة) [٢].
- المال هو مَالهُ الذي ورثه عن أبيه، والذي كسبه أى تحصل عليه بنفسه.
- المال هى الأموال المعروفة، وما كسب هم أولاده فهم من كسبه ومن سعيه، والدليل عليه قوله ﷺ: (إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه) [٣].

المسألة الخامسة: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ(٤)﴾ما دلالة حمل الحطب؟

هذه المرأة زوج أبى لهب هى أم جميل أروى بنت حرب أخت أبى سفيان ﷺ وعمة معاوية بن أبى سفيان ﷺ ومعنى حمالة الحطب تُحمَل على معنيين؛ مجازى وحقيقى: فأما المجازى فهى إشارة إلى سعيها بالنميمة بين الناس للوقيعة بينهم فصور القرآن هذا الخُلُق فيها وكأنها تحمل الحطب لإشعال النار، (فالابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: كانت تمشي بالنميمة، يقول العرب: فلان يحطب على فلان إذا وشى وأغزى، قال شاعرهم :

من البيض لم يصطد على ظهر لامة

ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢٣٨/٢٠ .

(٢) النكت والعيون، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، ٣٦٥/٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) حديث صحيح روي من طرق بألفاظ متقاربة. فأخرجه أبو داود في الإجارات (من البيوع) باب في الرجل يأكل من مال ولده: ٥/ ١٨٢، والترمذي في الأحكام، باب ما جاء في أن الوالد يأخذ من مال ولده: ٥٩٢/٤.

يعني لم يمش بالنمائم)[1]، فالنميمة تشعل الحقد والبغضاء بين الناس كما يشعل الحطب النار، (قال أكثم بن صيفي لبنيه: "إياكم والنميمة فإنَّها نار محرقة، وإن النمام ليعمل في ساعة مالا يعمل الساحر في شهر")[2].

أما المعنى الحقيقي: فكما أورد أصحاب السير أن أم جميل كانت تحمل الشوك والأذى فتطرحه فى طريق رسول الله ﷺ حتى يطأ عليه بقدميه فتؤذيه، قال المباركفوري: (كانت امرأة أبي لهب أم جميل أروى بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان لا تقل عن زوجها في عداوة النبي ﷺ، فقد كانت تحمل الشوك، وتضعه في طريق النبي ﷺ وعلى بابه ليلًا، وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها وتطيل عليه الافتراء والدس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حربًا شعواء على النبيﷺ؛ ولذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب) [3] .

المسألة السادسة: فى السورة إعجاز دال على أن هذا القرآن من عند الله تعالى:

فى هذه السورة دليل على أن هذا القرآن الكريم هو كلام الله تعالى وليس من نسج خيال محمد ﷺ إذ فيه إخبار عن الغيب وتقرير بأن مصير أبى لهب وامرأته النار فى إشارة إلى أنهما سيموتان على الكفر ولن يدخلا فى الإسلام وهذا ما حدث منهما إذ ظلا فى عداوتهما حتى ماتا على الكفر، فكان مصيرهما النار وبئس القرار والسؤال: لو كان هذا القرآن من تأليف محمد فمن أين علم أن عمه وامرأته سيموتان على الكفر ولن يدخلا فى الإسلام ؟ قد يقول البعض إن موت أبى لهب على الشرك أمر متوقع بسبب عداوته وعناده، لكن هذا ليس سبباً يجعل أى عقل بشرى يقرر

---

(١) الكشف والبيان١٠/٣٢٦، أحمد بن محمد الثعلبى النيسابورى، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

(٢) المرجع السابق ١٠/٣٢٧ .

(٣) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص٩٥، دار الوفاء، مصر، ط١٧، ١٤٢٦ه.

مصير أى إنسان مهما كانت عداوته، فكم من رجل كان من ألد الأعداء لله ورسوله ثم تغير به الحال وتحول من الكفر لجند الإيمان، ولعل أبرز مثال على ذلك فاروق الأمة أبو حفص عمر بن الخطاب فقد تواترت الوقائع على عداوته وشدة حربه لله ورسوله وأذاه للمؤمنين حتى منَّ الله عليه بالإيمان الذى رفعه إلى مقام الصحبة الشريفة والخلافة الراشدة والجنة الخالدة. أضف إلى ذلك أن الله تعالى صرف عقل أبى لهب عن أن يزعم أنه قد أسلم – حتى ولو ظاهراً – من أجل إحراج الرسول ﷺ وبيان أن القرآن قد أخطأ أو كذب ، لكن حتى هذه لم يوفَق إليها عدو الله وصرف الله عقله عنها ، ليتأكد للقاصى والدانى صدق الله وكذب عدوه ... ولله الحمد والمنة.